صيغ الفعل الثّلاثي المزيد في تفسير التّحرير والتّنوير
للطاهر بن عاشور
The triple verb formulas further explain liberation and enlightenment

ط. د علوش مرسلي‡

إشراف أ.د العربي قلايلية

تاريخ الاستلام: 2021.01.06 تاريخ القبــول: 2021.12.02

ملخّص: إنّ تفسير ابن عاشور من الّتفاسير المّهمة، إذ يعتبر من التفاسير اللّغوية الرائدة في عصره ورافدا من روافد فهم القرآن حيث جمع مختلف أصناف المعرفة فابن عاشور يتوقف عند كثير من الصيغ في القرآن الكريم ليخلص الى دلالتها في السياق مستفيدا من التراث الصرفي والبلاغي ومضيفا اليها خبرته العلمية وذوقه الدلالي ،وجريا على هذا الاهتمام وجدنا لصاحب التحرير نظرات في دلالات الصيغ الصرفية المختلفة بما يصلح أن يفرد له بحث مستقل ،ولمّا كان كذلك، رأيت ان أبحث عن موضوع قرآني أتوج فيه هذا المقال المعنون ب" صيغ الفعل الثلاثي المزيد في تفسير التحرير والتنوير".

ولابد للباحث من معالم وأسس ينطلق منها، وطريق توصله إلى تلك المقاصد القرآنية، فكانت أقرب الطُّرق لذلك الانطلاق من المباني والقوالب والصيغ وتنوعها وتعدّدها لفهم المعاني وكيفية إيضاحها.

---

‡ قسم العلوم الشرعية، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، البريد الإلكتروني:
allouchemorsli810@gmail.com (مؤلّف مرسل)

كلمات مفتاحيّة: الصيغ؛ الفعل؛ الثلاثي؛ السياق؛ التفسير.

Abstract: The interpretation of Ibn Ashur is one of the important interpretations, as it is considered one of the leading linguistic interpretations of his time and a tributary of the understanding of the Qur'an as he collected various types of knowledge. Ibn Ashour stops at many formulas in the Holy Qur'an to conclude their significance in the context, taking advantage of morphological and rhetorical heritage and adding to them His scientific experience and semantic taste, and based on this interest, we found the editor-in-chief with insights into the semantics of the different morphological formulas in a manner suitable for him to be singled out for independent research, and when he was so, I saw that I search for a Qur'an topic in which I culminate this article entitled "Three-verb formulas more in the interpretation of editing And enlightenment. "

The researcher must have milestones and foundations from which to proceed, and a way to reach those Qur'anic aims, so the closest ways to that start were buildings, templates, and formulas, their diversity and multiplicity, to understand the meanings and how to clarify them.

Keywords: formulas; verb; Triple; Context; Interpretation.

1. مقدّمة: لمّا كانت اللّغة بحاجة إلى نماء وتطور مستمر مواكب لمتطلبات الحياة الاجتماعية، فإنّها بحاجة ماسّة أيضا إلى التنوع أكثر في أساليب تعابيرها، وبما أنّنا بصدد دراسة صيغ الأفعال المزيدة فإننا ندرك تماما بأنّ الفعل المجرّد لا يستطيع أن يفي بجميع المعاني التي تريد اللّغة التعبير عنها، لذلك لجأ اللّغويون والصرفيون إلى الزيادة بهدف الوصول إلى معان أخرى لم يصلها الفعل المجرّد، ذلك أنّ الزيادة لا تكون عبثا، بل كلّ زيادة في المبنى تصاحبها زيادة في المعنى.

ولعلَّ هذا النص الذي اقتصرنا على أهم مقاصده يكشف شيئا من اهتمامه بالعلاقة بين الصيغة والدلالة، وجريا على هذا الاهتمام وجدنا لصاحب التحرير نظرات في دلالات الصيغ الصرفيّة المختلفة والمتنوعة، والتي لا تفهم إلاّ من خلال السيّاق.

ومن الإشكالات التي استرعت انتباهي وجعلتها محلاّ لهذه الدراسة هي كالآتي:

إلى أي مدى تستطيع الصيغ الصرفية بتنوعاتها تبيان وكشف معاني الآيات القرآنية؟

هل هناك علاقة بين هذه الصيغ بتنوعاتها مع المعنى وتناسبه في الاستعمال القرآني وقصدية الشارع من التنزيل؟

وقصدت في دراستي هذه أن اخرجها على منهج وصفي تحليلي.

ومن هنا استمد هذا البحث أهميته كونه يبحث في خصوصية المفردة القرآنية بالكشف عن الصيغة الصرفية ودورها وأثرها في الوصول الى المعنى.

ومن جهة أخرى كون هذه الدراسة في القرآن الكريم فرصة للتدبر وفهم الآيات، والأسرار الربانية وملامسة لبعض اللّطائف اللّغوية، والاحتكاك بكتب التفاسير، واكتشاف بعض الخبايا العلمية والاعجازية في اللّغة العربية، وهذا ما شدّ انتباهي وقادني إلى البحث فيه.

2. الفعل الثلاثي المزيد.

1.2 **الفعل الثلاثي المزيد بحرف:** قد اطّلعت على مجموعة من أجزاء تفسير التحرير والتنوير، تناولت نماذج من الصيغ الصرفية الفعلية فاقتصرت على دراسة نماذج من صيغ الفعل الثلاثي المزيد كالآتي:

• **صيغة [أَفْعل]:** هذه الصيغة وردت بكثرة في القرآن الكريم، وقد استرعت أنظار علماء اللغة والنحو والصرف منذ وقت مبكر، فأولوها عناية خاصة وأهمية بالغة وتتوزع معانيها في تفسير التحرير والتنوير وفق أنماط مختلفة من الدلالة، وذلك حسب ورودها في السياق، ويستعمل في الاكثر متعديا. فالأصل

في زيادة الهمزة في صيغة فعل يكون في غالب الاحيان للتعدية.[1] غير أنّ هذه الصيغة في صيغة (أفعل)قد تخرج عن معنى التعدية.

قال ابن عاشور في توجيه دلالة صيغة الفعل سلك في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ، قال: اسلك لا تصح لأن تكون مفعولا لسلك المتعدي، فانتصاب سبل هنا على نزع الخافض توسعا.[3] كما أنّه قد تتداخل بنيتين صرفيتين على معنى مشترك على سبيل الترادف، قال سيبويه: "وقد يجيء (فعلت وأفعلت) المعنى فيهما واحدا إلاّ أنّ اللّغتين اختلفتا"[4]. وهذا الاشتراك في المعنى والبنية الصرفية قليل بالنظر الى ما يختلف فيه البناءات.[5] إذ أنّ الأصل في الزيادة تولد المعاني واختلافها، قال ابن عاشور: أسرى لغة في سرى بمعنى سار في اللّيل، فالهمزة هنا ليست للتعدية لأنّ التعدية حاصلة بالباء، فالفعل أسرى مرادف سرى.[6] وهذ تفنن في استعمال الالفاظ. ونظير ذلك في قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[7]، فالفعل (أسقيناكموه) جاء على معنى جعلنا لكم سقيا، فالهمزة فيه للجعل.[8]وهذا البناء قد يشترك مع صيغة فعل في المعنى.

قال الخليل: "سقيته وأسقيته، أي: جعلت له ماء وسقيا.[9] وهناك من يرى أنّ الهمزة لم تؤثر في عمل الفعل سقى كما هو الشأن في همزة التعدية لكنّها أثرت في حكم المفعول به لأنّ الحدث مع الثلاثي واقع على المفعول، فإذا دخلت الهمزة صار وقوع الفعل محتملا بعد أن كان محققا.[10]

• **صيغة الفعل [أجاء]:** اختلف المفسرون في معناه بين معنى المجيء بها ومعنى الإلجاء بها [11]، فهو من المعجمي اللجوء الى مكان ما. يقال: أجاءتني إليك حاجة، وجاءت بي حيث المعنى الضرورة[12].

ونرى انّ الفعل يحمل معنى الالجاء، وذلك من خلال قرينتين الأولى: قرينة المعنى العام للآية الكريمة، إذ يتكلم على إيجاء مريم (عليها السلام) لمكان تتستر فيه عن عيون الناس في قوله تعالى:﴿ فانتبذت به مكانا قصيا﴾ أي: تنحت وبَعُدت.[13]

وقد بيّن ابن عاشور التطور الدلالي لصيغة الفعل أجاء بأنّ أصله [جَاءَ،] عُدِيَ بِالْهَمْزَةِ فَقِيلَ: أَجَاءَهُ، أَيْ جَعَلَهُ جَائِيًا. ثُمَّ أُطْلِقَ مَجَازًا عَلَى إِلْجَاءِ شَيْءٍ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ، كَأَنَّهُ يَجِيءُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ، وَيَضْطَرُّهُ إِلَى الْمَجِيءِ إِلَيْهِ.[14] قَالَ الْفَرَّاءُ: أَصْلُهُ مِنْ جِئْتُ وَقَدْ جَعَلَتْهُ الْعَرَبُ إِلْجَاءً. وَفِي الْمَثَلِ «شَرٌّ مَا يُجِيئُكَ إِلَى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ».[15]

وترى بنت الشاطيء التعبير بـــ[أجاء]أدق من (ألجأ) مستشهدة بقول حسان بن ثابت[16]:

1.3 إذا شددنا شدّة صادقة فأجأناكم الى سفح الجبل.

وهذا من محاسن الاختيار القرآني لهذه الصيغة لتعبّر عن معنى الاضطرار والالجاء، وهذا يناسب حالة الضيق والكراهة لهذا الامر الذي ابتليت به مريم (عليها السلام)[17] ، ويضيف بن عاشور دلالة ارفع للصيغة، إذ يراها دليلا على مقام صبرها وصدقها في تلقّيها لهذا الابتلاء الذي ابتلاها الله تعالى به، فلذلك كانت في مقام الصدّيقة[18].

• **صيغه(فعّل)**: صيغة فعّل الاصل أن تكون للتكثير. قال ابن السراج: حقه أن يكون للتكثير والمبالغة[19]، وهذ مستفاد من طبيعة هذه الصيغة المشتملة على التضعيف، قال ابن جني: "ومن ذلك أنّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليل على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر وقطّع، فتّح وغلّق، وذلك أنّهم لمّا جعلوا الالفاظ دليلة المعاني فأقوى اللّفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل"[20]، إذ إنّ الزيادة في اللّفظ أحيانا يؤدي الى الزيادة في المعنى، الألفاظ أدلة على المعاني[21]. وصيغة فعّل قد تتقاطع هذه الصيغة في وزنها الصرفي مع صيغة تماثلها

ولكنّها تختلف عنها، إذ لكلّ منهما دلالته الخاصة، وذلك بالنظر في مادة هذه الصيغة واشتقاقها، قال ابن قتيبة: "وذلك أنّ قوّة اللّفظ لقوّة المعنى لا يستقيم إلاّ في نقل صيغة الى صيغة أكثر منها، كنقل الثلاثي الى الرباعي وإلاّ فإذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فإنّه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي الى مثال تلك الصيغة."[22] .

قال تعالى:﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[23]، كلمة رتّل ليست دالة على كثير القراءة وإنّما المراد بها القراءة.

وقد ذكر ابن عاشور دلالة التعدية في صيغة فعّل المضاعفة حين عرض لأمثلتها في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[24]، نلاحظ أنّ ابن عاشور لم يتعمّق في بيان معنى التعدية في الافعال المذكورة في الآية، وكأنّه لم ير أهمية لذلك، لكنّه فرّق بين التعدية بالحرف(إلى) في فعلي (حبّب) و (كرّه)،والتعدية المطلقة في الفعل(زيّن).بأنّ التعدية بالحرف (إلى) تشير إلى تضمين الفعلين مَعْنَى بَلَّغَ، أَيْ بَلَّغَ إِلَيْكُمْ حُبَّ الْإِيمَانِ وَكُرْهَ الْكُفْرِ. وَلَمْ يُعَدَّ فِعْلُ وَزَيَّنَهُ بِحَرْفِ (إِلَى) مِثْلَ فِعْلَيْ حَبَّبَ وكَرَّهَ، لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَمَّا رَغَّبَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَكَرَّهَهُمُ الْكُفْرَ[25]، بينما جاءت التعدية مطلقة في الفعل (زيّنه)للإيماء إلى أنّه لمّا رغّبهم في الايمان امْتَثَلُوا فَأَحَبُّوا الْإِيمَانَ وَزَانَ فِي قُلُوبِهِمْ.[26]

ومن أمثلة ما جاء في القرآن الكريم أيضا بصيغة التضعيف صيغة(غَلَّق) في قوله عز وجلّ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[27] دالّة على هذا المعنى، بيد أنّ المتأمل للمرة الأولى في هذه الصيغة يتضح له أنّ لها دلالة مباشرة ،ومحددة تكمن في تكرير الفعل من قبل امرأة العزيز

وكفى، ولكن وبتعميق النظرة في هذه الصيغة فإنه يتضح أنّ لها دلالات غير مباشرة تبعا لاختلافات التفاسير إذ التكثير هنا قد يكون في الفعل وقد يكون في المفعول؛ فإذا تمّ التسليم بأنّ التكثير في الفعل، فإنّ دلالاتها تكون أنّ امرأة العزيز قامت بغلق الباب عدة مرات، خاصة وأنّ موقف يوسف –عليه السلام– المعارض يدلّ على ذلك فهو يريد فتح الباب بصعوبة للإفلات منها.

وفي المقابل تصده هي، وتحاول غلق الباب مرة بعد مرة، مما يؤكّد على وجود صراع كبير وتشابك حاد بينهما، وقد يعتبر التكثير حاصلا في المفعول انطلاقا من التعبير بالجمع في لفظة (أبواب) لأنّ امرأة العزيز قامت بغلق كلّ أبواب المنزل الواحد تلو الآخر إثر محاولتها منع يوسف من الخروج؛ فحين يريد الخروج من واحد تسرع إلى غلق الآخر، وقد اتفق على انّها سبعة أبواب.[28]، ومن المحتمل أنْ يكون إغلاقها بإحكام وقد أومأ " الطّاهر بن عاشور" إلى هذا المعنى في قوله : "وغلّقت الأبواب جعل كلّ باب سادا للفرجة التي هو بها ،وتضعيف غلّقت لإفادة شدة الفعل وقوته؛ أي: أغلقت إغلاقا محكما"[29]، نلاحظ أنّ ابن عاشور يعزف عن معنى التكثير هنا، ويقرر دلالة المبالغة.

فيرى أنّ التضعيف هنا لإفادة شدّة الفعل وقوته[30]. وبتمعن أكثر فإننا نؤثر الجمع بين التأويلين، لأنّ الاكتفاء بالتأويل الأول يقود إلى الوقوع في نوع من اللّبس لو وردت لصيغة " غلّقت الباب" لقيل أنّ التكثير في الفعل وكفى وهذا مناف لسياق النص، بينما ورود الصيغة على منوال: " غَلَّقَت الأبواب" دلالة على أنها قامت بغلق كلّ الأبواب، ولكنّه لم يكن غلقا عاديا بل كان محكما. ومن كلّ ما سبق يتضح أنّ المبالغة حاصلة في الفعل والمفعول معا.

صيغة[فاعل]تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان كثيرة منها: المشاركة والمبالغة، والتكثير، وغيرها[31].

ومن أمثلة هذه الصيغة الفعل (واعد)المعنى اللغوي ل(واعد): الميعاد، وهو المجئ لمكان معين، وفي زمن معين[32] ، ومن الآيات التي ورد فيها الفعل(واعد)قوله تعالى:﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[33]، إذ يدل الفعل واعد عند المفسرين على معنيين:

– أنّ صيغة المفاعلة بمعنى الفعل الثلاثي، أي(وعد)،وقد احتجّ أصحاب هذا الرأي بأنّ الله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد، والمواعدة تكون بين المخلوقين. فالفعل(واعد)في الآية الكريمة من باب المفاعلة التي تكون من الواحد[34].

– أنّ الفعل جاء على معنى المشاركة[35].

ونرى أنّ دلالة المشاركة هي المرجحة في الآية الكريمة، وذلك لأنّنا لو رجعنا الى المعنى اللّغوي للمواعدة لوجدنا أنّه يقتضي زمانا ومكانا، وهما موجودان في هذا الوعد فالزمان هو (أربعين ليلة) إذ المراد من المواعدة هنا أمر الله موسى أن ينقطع أربعين ليلة لمناجاة الله تعالى، وإطلاق الوعد على هذا الامر حيث إن ذلك تشريف لموسى ووعد له بكلام الله وبإعطاء الشريعة[36]، والمكان ذكره جلّ وعلا في عدة مواضع، ومنها قوله تعالى:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[37].

هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ المواعدة المذكورة في الآية الكريمة هي من باب الموافاة، قال الطبري: "فمعلوم أنّ اللّه عزّ ذكره قد كان وعد موسى الطور ووعده موسى اللّقاء، وكان اللّه عزّ ذكره لموسى واعدا له المناجاة على الطور وكان موسى واعدا لربّه ومواعدا له اللّقاء[38]، ومعلوم أنّ موسى عليه السلام جاء للميعاد، قال تعالى:﴿ ولَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[39]، وهذا دليل على موافاته لوعد الله سبحانه وتعالى.

فالمفاعلة المذكورة في الآية الكريمة هي من باب الموافاة، وليس الوعد والمواعدة[40].

فالفعل إذن لم يخرج عن دلالته الأصلية، وهي المشاركة، حيث كان الوعد من اللّه سبحانه وتعالى ومن موسى عليه السلام إذ أطاع أمر ربّه.[41]، ويرى ابن عاشور أنّ المفاعلة على قراءة الجمهور (وواعدنا) بألف بعد الواو على غير بابها فهي لمجرد التأكيد على حد سافر، وعافاه الله، وعالج المريض وقاتله الله، فتكون مجازا في التحقيق[42]، لأن المفاعلة تقتضي تكرار الفعل من فاعلين فإذا أخرجت عن بابها بقي التكرار فقط من غير نظر للفاعل ثم أريد من التكرار لازمه وهو المبالغة، والتحقق فتكون بمنزلة التوكيد اللفظي[43]، نلاحظ أنّ صاحب التحرير و التنوير ينبهنا الى قراءة الجمهور التي أثبتت الالف بعد الواو في الفعل (وواعدنا)، وإثبات الألف في الفعل الوارد في الآية يدلّ دلالة واضحة على المشاركة بحيث أنّ الفعل لم يخرج عن دلالته الأصلية ،وما ذهب إليه على أنّ المفاعلة على غير بابها على نفس القراءة ،وضرب أمثلة على حد[سافر، وعافاه الله، وقاتله اللّه] مع أنّ هذه الافعال لازمة قد تكون مجازا في التحقيق كما ذكر سلفا، بينما الفعل[واعد]متعدّ، ودلالته واضحة وبيّنة والسياق الذي ورد فيه الفعل يثبت على أنّ المفاعلة على بابها وقد استدركه ابن عاشور في هذه العبارة وقيل: "المفاعلة على بابها بتقدير أن الله وعد موسى أن يعطيه الشريعة وأمره بالحضور للمناجاة فوعد موسى ربه أن يمتثل لذلك، فكان الوعد حاصلا من الطرفين وذلك كاف في تصحيح المفاعلة بقطع النظر عن اختلاف الموعود به، وذلك لا ينافي المفاعلة لأن مبنى صيغة المفاعلة حصول فعل متماثل من جانبين لا سيما إذا لم يذكر المتعلق في اللفظ كما هنا لقصد الإيجاز البديع لقصد إعظام المتعلق من الجانبين، ولك أن تقول سوغ حذفه علم المخاطبين به فإن هذا الكلام مسوق للتذكير لا للإخبار

والتذكير يكتفى فيه بأقل إشارة فاستوى الحذف والذكر فرجح الإيجاز وإن كان الغالب اتحاده"[44].

وقال: "والأشهر أن المواعدة لما كان غالب أحوالها حصول الوعد من الجانبين شاع استعمال صيغتها في مطلق الوعد وقد شاع استعمالها أيضا في خصوص التواعد بالملاقاة"[45].

ثم ذكر ابن عاشور سبب استغناء القرآن عن ذكر الموعود به لظهوره من صيغة المواعدة قال: "واستعملت هنا لأن المناجاة والتكلم يقتضي القرب فهو بمنزلة اللقاء على سبيل الاستعارة"[46].

3. المزيد الثلاثي بحرفين: للفعل الثلاثي المزيد بحرفين خمس صيغ هي :(انفعل، وافتعل، وافعلّ، وتفعّل، وتفاعل)

– **[صيغه أفتعل]:** للافتعال دلالة متنوعة، أوصلها عظيمه ست دلالات[47] وهذه الصيغة عند ابن عاشور تدل على المبالغة في عموم ما وردت فيه، فهو يصرّح على أنّها للمبالغة في الفعل" قرف "في قوله تعالى:﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾[48]، يقال: "قرف واقترف وقارف. فيقرر أنّ صيغة الافتعال، وصيغة المفاعلة فيه للمبالغة"[49] وصيغة المبالغة تأكدت بقرينة السياق في قوله: (ما هم مقترفون) إذ جاء في صلة الموصول بالجملة الاسمية للدلالة على تمكّنهم في ذلك الاقتراف وثباتهم فيه.[50] وفي قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[51]، يجد ابن عاشور تفريعا على معنى المبالغة في صيغة الافتعال ، فالاعتذار عند ابن عاشور افتعال مشتق من العذر، ومادة الافتعال فيه دالة على تكلّف الفعل مثل: الاكتساب، والاختلاق. [52] وهو ما عبّر عنه (عضيمة) بأنّه" للتصرف باجتهاد ومبالغة، وتعمل في تحصيل أصل الفعل[53] وإذا كان صاحب التحرير والتنوير قد مثّل لدلالة التكلّف بالاكتساب، والاختلاق

فإننا لم نجد أثرا لهذه القناعة في تفسيره للاكتساب في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[54].

ويعزو هذا التقسيم بين :(كسبت واكتسبت) إلى التفنن، وكراهية إعادة الكلمة وهو يجزم بأنّ الفعلين(كسب واكتسب) بمعنى واحد في كلام العرب في قوله: وهذا التقسيم حاصل من التعليق بواسطة» اللام((مرة وبواسطة) على(أخرى. وأما كسبت واكتسبت فبمعنى واحد في كلام العرب، لأن المطاوعة في اكتسب ليست على بابها، وإنّما عبّر هنا مرة بكسبت، وأخرى باكتسبت تفننا وكراهية إعادة الكلمة بعينها[55].

ويأتي بدلالة المطاوعة في (اكتسب)بصيغة التعريض مصدر لها بقوله [وقد تكون][56]، ثمّ يأتي بدلالة الاعمال التي هي تكلّف تحصيل أصل الفعل بصيغة توحي بعدم رضاه عنها إذ يقول: ووقع في أنّ فعل المطاوعة لدلالته على الاعمال، وكان الشرّ مشتهى للنفس، فهي تجدّ في تحصيله، فعبّر عن فعلها ذلك بالاكتساب[57].

فتفسير ابن عاشور للفعلين [كسب واكتسب] بمعنى واحد فيه اضطراب من ناحيتين:

1-الناحية الصرفية، فالفعل "كسب" فعل ثلاثي مجرد، إمّا "اكتسب" ففعل مزيد، قال سيبويه:

"أمّا (كسب)فإنّه يقول: أصاب، أمّا(اكتسب) فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"[58]، فالملاحظ أن الزيادة في الفعل أخرجته لمعان تختلف عن دلالة المجرد، لأنّ الزيادة في بنية الكلمة تدلّ على الزيادة في المعنى. قال الزركشي: "واعلم أنّ اللّفظ إذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أعلى منه ،فلابد أن يتضمّن المعنى أكثر ممّا تضمّنه أولا، لأنّ الالفاظ أدلة على المعاني ،فإذا زيدت في الالفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة[59] .فحسب القاعدة المعروفة كلّما زاد المبنى زاد المعنى، فقد كان لمعنى اكتسب إيضاح

أكثر من صيغة كسب في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾[60]، فلاريب أنّ حسن اختيار الله لهذه المفردة ـ اكتسب ـ لبعدها الدلالي كأنّها ترسم لنا وتصور مشاهد اجتهاد وتعب ونكد المنافقين للطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلّم وإذايته في زوجه عائشة رضي الله عنها، فبيّن الله تعالى بهذه الصيغة (افتعل)(اكتسب)لتدلّ على إبراز المعنى أكثر، وهذا وعيد من الله سبحانه لأولئك الذين انغمسوا وتسببوا في حادثة الإفك.

أمّا من الناحية السياقية فالفعل (كسب)في الآية الكريمة سبق بـــ(لها)، وجاء مع الحسنات، أمّا الفعل (اكتسب) فسيق بـــ(عليها) وجاء مع السيئات، ولعلّ السبب في ذلك أنّ الحسنة ممّا تُكسب من دون تكلّف. فالحسنة تصغر بإضافتها الى جزائها صغر الواحد الى العشرة، ولمّا كان جزاء السيئة إنّما هو بمثلها لم تحتقر الى الجزاء عنها، فَعُلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة.

قال الزمخشري: " في الاكتساب اعتمال فلمّا كان الشرّ ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ ، فَجُعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعمال"[61]. ذهب الزمخشري في تأويل صيغة افتعل ـ اكتسب من خلال ربطها بثنائية الخير والشرّ، ينفعها ما كسب من خير ويضرّها ما اكتسب من شرّ.

قال ابن عرفة: وقوله تعالى: (لها ما كَسَبَتْ) يريد من الحسنات، (وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ) يريد من السيئات، قاله السدي وجماعة من المفسرين، لا خلاف في ذلك، والخواطر ونحوها ليس من كسب الإنسان. وجاءت العبارة في الحسنات ب لَها من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلى ملكه وجاءت في السيئات بـــ (عَلَيْها)، من حيث هي أوزار وأثقال ومتحملات صعبة[62].

جاء في التسهيل: وإنّما قال في الحسنات كسب وفي الشرّ اكتسب، لأنّ في لاكتساب ضرب من الاعمال والمعالجة حسب ما تقتضيه صيغة افتعل. فالسيئات فاعلها يتكلّف مخالفة أمر الله، ويتعدّاه بخلاف الحسنات فإنّه فيها على الجادة من غير تكلّف[63].

يقول الإمام الشعراوى: "هناك فرق بين فعل وافتعل، ففعل أي الفعل الطبيعي الذي ليس فيه مبالغة ولا تكلف، أمّا افتعل ففعل فيه تكلّف ومبالغة كذلك كسب واكتسب، أمّا اكتسب ففيها زيادة وافتعال لذلك تجد في الفرق اللّغوي العام أنّ كسب تأتي في الخير، واكتسب تأتي في الشرّ [64].

– **صيغة تفعّل:** تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معاني مختلفة تستجيب لمقتضيات الاستعمال.[65] قال ابن عاشور: وقد أخذوا من العدول الى صيغة التفعّل للدلالة على معنى التكثير في هذا التحويل، فالتفعيل لقوّة الكيفية[66]. وهذا المعنى مستفاد من صيغة التفعّل للتقلّب الذي هو مطاوع قلّبه إذا حوّله[67]. وتأتي هذه الصيغة للعمل المتكرر في مهلة مثل تجرّع الدواء، وتحسّس، وتجسّس، ومثل ذلك، ولدلالتها على تكرار الحدث والتمهل فيه استُخدمت لإيفاده معنى الثبت، قال سيبويه: "وأمّا تفهّم وتبصّر وتأمّل فاستثبات بمنزلة تيقن"[68]. مثال من القرآن الكريم قال تعالى:﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[69]، قال ابن عاشور:" فعلا التعجّل والتأخّر يجوز أن يكون دالا على المطاوعة، وعلى هذا يكون المعنى: عجّل نفسه فتعجّل، وأخّرها فتأخّر"[70]. كما أنّه يجوز أن تكون صيغة التفعّل في الفعلين لتكلّف الفعل كأنّه اضطرّ إلى العجلة والتأخر[71].

وتعجّل يجوز أن يكون بمعنى استعجل كـ (تكبّر، واستكبر)، أو مطاوعا لـ (عجّل) نحو :كسّرته فتكسّر، أو بمعنى المجرد، وهو عجل[72] ، قال الزمخشري: "والمطاوعة أوفق لقول) :ومن تأخر).[73] وتعجّل، واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجّل، يقال: تعجّل في الأمر واستعجل، ومتعديين يقال:

تعجل الذهاب واستعجله[74]. كلمات زجر وتوبيخ بل كلمات عفو ومغفرة ... ومما يدلّ على أنها كلمات عفو عطف قوله تعالى (فتاب عليه) بالفاء إذ لو كانت كلمات توبيخ لما صح التسبب"[75].

– **صيغة تفاعل:** قال الله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ سو[76]، أصل صيغة التفاعل تقتضي تعدد الفاعل، غير أنه قد تخرج هذه الصيغة الصرفية عن هذا المعنى مراعاة لسياقها، قال ابن عاشور: التداين التفاعل [77]، وأطلق هنا مع أنّ الفعل صادر من جهة واحدة وهي جهة المسلف. لأنك تقول إدّان منه فدانه. فالمفاعلة منظور فيها بين المخاطبين وهم مجموع الأمة، لأنّ المجموع دائنا ومدين فصار المجموع مشتملا على جانبين وذلك ان تجعل المفاعلة على غير بابها كما تقول: تداينت من زيد، [78]فهذه الصيغة الأصل فيها المشاركة، وهذا المعنى لا يمكن تضمينه في هذا السياق القرآن. نلاحظ ان ابن عاشور قد وظّف الصيغة السابقة في فهم الآية الكريمة من خلال تحديد وزنها ومعناها "المفاعلة".

4. الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف: للفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف أربع صيغ وهي:(استفعل، وافعوعل، وافعوّل، وافعال)

ومن أهمّ هذه الصيغ "استفعل": تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معاني مختلفة منها: الطلب، والمصادفة، والاتخاذ، وغيرها[79]، ومن أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[80]. ومعنى (استمسك) تمسّك، فالسين والتاء للتأكيد[81]، أي: إذ لا معنى لطلب التمسك بالعروة الوثقى بعد الإيمان، بل الإيمان التمسّك نفسه.

نلاحظ أنّ شيخنا ابن عاشور أنّه أهمل الدلالة المعجمية للكلمة لشدة وضوحها، ولأنّ الكلمة لم تستعمل في معناها الحقيقي، وبالتالي لم يحدث هنا

ربط بين الدلالة المعجمية ودلالة الصيغة كما عودنا على ذلك في نصوص سابقة، كما أنّه لم يصرّح بوزن الفعل (استفعل) اختصاراً، ولأنه قد تعددت أمثلته في السابق. وضّح معنى الصيغة بقوله: ومعنى استمسك تمسّك فالسين والتاء للتأكيد. وعلّل لذلك بقوله: إذ لا معنى لطلب التمسّك بالعروة بعد الإيمان.

ونلاحظ أن قوله هنا:" السين والتاء للتأكيد " فيه معنى القصد إلى فعل الشيء والنية. فإذا كان في نحو (استمسك) فهو بمعنى: تأكيد الإمساك بالشيء مع نية طلبه. هذا فيما يتعلق بالإنسان، أمّا ما يتعلّق بلفظ الجلالة كاستجاب ففيه معنى التوكيد مع القصد إلى الإجابة إلى طلب الدّاعي له. ولذا فإن قول ابن عاشور: (إذ لا معنى لطلب التمسك ..) فيه مجاوزة للمعنى، لأن صيغة (استمسك) في الأمر تفيد معنى الطلب، أصالة أي: اطلب الامساك بالذي أوحي إليك، لما في طلب الشيء من النية والقصد ومجاهدة النفس في ذلك عملاً. فالصيغة إذن لا تخلو من معنى الطلب. وقول الزمخشري هنا بتمثيله براكب السفينة أو راكب الصعب وهو في هيأة من أمسك بالشيء اعتماداً على عنصر المشاهدة والمعاينة، فإن فاعل الإمساك هنا تبدو عليه علامات القصد للتثبت بالشيء خشية السقوط أو الهلاك.

5. خاتمة: وبناء عليه أنّ الزيادات المتعلقة بالأفعال المزيدة ليست قياسا مطّردا، إذ ليس كل فعل يقبل تلك الزيادة، لذا فإنّها تبقى حكرا على بعض الأفعال تمشيا مع إفادة المعنى.

وقد ذهب إليه الصرفيون في أبنية الأفعال المزيدة وهو أنّ زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى، ومن هنا نجد طاهر بن عاشور أنّه كان لغويّا متمكّنا من علم الصرف، وهذا من خلال تعامله مع الآيات البيّنات أثناء تفسيرهما فكان يستنجد بالقواعد الصرفية من أجل التوضيح والشرح والتحليل.

6. قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم برواية حفص.**
- أحمد حساني، المكوّن الدلالي للفعل في اللّسان العربي، ديوان المطبوعات، (د\ط)، بن عكنون، الجزائر،1993.
- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر، بيروت.
- أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، دار المأمون للتراث، ط2 دمشق بيروت، 1993.
- ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر–ت: ابراهيم عطوه عوض دار الحديث القاهرة.
- فخر الدين الرازي، المفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان.
- عبد الغاني الغنيمي، اللباب في شرح الكتاب، المكتبة العلمية، بيروت.

8. <u>هوامش §:</u>

[1] رضي الدين الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص8.

[2] سورة النحل الآية:69

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، ج14، ص208.

[4] سيبويه، الكتاب، ج4، ص61.

[5] ينظر محي الدين عبد المجيد، دروس التصريف، ص72.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15 ص11.

[7] سورة الحجر، الآية:22

[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص38.

[9] سيبويه، الكتاب، ج4، ص:59

[10] ينظر: نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الافعال دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنشر والتوزيع دط،1989، ص:35

[11] ينظر: جامع البيان، ج15، ص473. معالم التنزيل، ج2، ص192.

[12] أساس البلاغة، الزمخشري، ج1 ص108.

[13] ينظر: أضواء البيان، ج3 ص389.

[14] ابن عاشور، التحرير وال تنويرج16 ص85.

[15] معاني القرآن للفراء ج2 ص164.

[16] ديوان حسان بن ثابت ص181.

[17]الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي ط1، المكتبة العصرية بيروت ص121

[18]الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16 ص85

[19] . أبو بكر محمد ابن سراج، الاصول في النحو، ج3 ،116

[20] . ابن جني، الخصائص، ج2، ص:155

[21] . ينظر: ضياء الدين ابن الاثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص :241

[22] . المصدر نفسه، ج2، ص: 245،246

[23] . سورة المزمل الآية :04

[24] سورة الحجرات 7.

[25] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26 ص237

[26] المصدر نفسه، ج26 ص238.

[27]سورة يوسف الآية 23.

[28] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج12\212 .

[29] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12 ص250.

[30]المصدر نفسه، ج12ص250.

[31]ينظر سيبويه، الكتاب، ج4 ص 64، وشرح الشافية: ج1 ص 96

[32] ينظر الخليل، العين، ج2 ص222، وابن منظور، لسان العرب، ج3 ص 461 . 462

[33] سورة البقرة، الآية:51.

[34] ينظر: معالم التنزيل ج1 ص 72، والتبيان في اعراب القرآن: ج1 ص 62

[35] جامع البيان ج1 ص665، والتفسير الكبير: الرازي، ج3 ص96.

[36] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1 ص 497.

[37] سورة مريم، الآية:52

[38]جامع البيان ج1 ص665.

[39]سورة الاعراف الآية، 143.

[40] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ج1 ص 224.

[41] ينظر: الخلافات الصرفية في توجيه الابنية في القرآن الكريم، ص423.

[42] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص497.

[43] المصدر نفسه، ج1 ص 497.

[44] ينظر: المصدر نفسه، ج 1 ص 497.

[45] المصدر نفسه، ج1 ص497.

[46] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص 497.

[47] ـ محمد عبد الخالق عظيمة، المغني في تصريف الافعال، ص145.147.

[48]ـ سورة الانعام، الآية 113.

[49] ـ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8 ص12.

[50] ـ المصدر نفسه ج 8 ص13.

[51] . سورة التحريم الآية7.

[52] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28ص367.

[53]– محمد عبد الخالق عضيمة، المغني في تصريف الافعال، ص147.

[54]– سورة البقرة الآية 286.

[55]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3 ص137.

[56]. المصدر نفسه، ج3 ص137.

[57]– المصدر نفسه، ج3 ص138.

[58]– سيبويه، الكتاب، ج4، ص74.

[59]– السيوطي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص34.

[60]– سورة النور الآية 11.

[61]– الزمخشري، الكشاف ج1، ص359.

[62]– ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 1 ص393.

[63]– أبو القاسم محمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص134.

[64]– الشعراوي، تفسير الشعزاوي، تفسير سورة البقرة، الشيكة العنكبوتية.

[65]– ينظر شرح الشافية: ج1، ص:104. 106

[66]– ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج2، ص27.

[67]– ينظر المصدر نفسه، ج2 ص27.

[68]– سيبويه، الكتاب، ج 4 ص73.

[69]– سورة البقرة الآية203.

[70]– ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2 ص263.

[71]– أبو حيان، البحر المحيط، ج2 ص116.

[72]– اللباب في علوم الكتاب، ج3 ص448.

[73]– الزمخشري، الكشاف، ج1، ص249.

[74]– المصدر نفسه، ج1، ص249.

[75]– ابن عاشور، الـتحرير والتنوير، ج1 437.

[76]– سورة البقرة الآية:282.

77- سورة البقرة الآية:282.

[78] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص98.

[79]- ينظر الكتاب: ج4 ص 70 ـ73، وشرح الشافية: ج1 ص 110، وشذا العرف: 34